دراسة حول الكفاية

بقلم :

سماحة آية الله الأستاذ

السيّد محمد حسن الحسينى الموسوى

مقال مطبوع فى مجلة پژوهشهای اصولی

العدد: ١٤

زبدة البحث

مقال يعنى بالإطلالة السريعة على حياة الآخوند الخراسانى العلميّة ويسلّط الضوء على كفايته بالذات ذلک لأنه الكتاب الدراسى الأول فى الاصول والقمّة فى السطوح العالية وأبحاث الخارج منذ أكثر من قرن وعليه تخرّج جماهير من تقدم من أعلامنا منذ ولادته وإلى يومنا هذا ولايزال المرشّح الأول للتدريس من دون بديل.

ومقالنا هذا يصبّ البحث فى كفاية الاصول ضمن فصول:

الأول فى تاريخها وذلک لأنا لم نجد من تعرّض لدراسة تاريخها بالتحديد لحد الآن رغم ضرورته ولزوم سدّ ثغرته،.

الثانى فى مصادرها وهو بحث مهم للغاية يجب أن يكون الدارس والباحث مطلعاً عليه.

الثالث فى نتاجاتها وهو الآخر فى الأهميّة حيث يعرف من خلاله مدى اهتمام الأصحاب بالكتاب.

الرابع فى كتب حولها ومن خلاله نتطلع على محورية الكفاية لدى أهم المدارس الاصولية المتأخرة.

الخامس فى لابدّيات الكفاية وما ينبغى أن يبذل من جهود فى سبيل إحياء الكتاب ومعالمه القيّمة.

المصطلحات الرئيسيّة:

المصادر ــ النتاجات ــ المدارس ــ التحرير ــ التقرير ــ اصول الفقه ــ الكفاية

الآخوند محمد كاظم الهرويّ الخراسانى (١٣٢٩ هـ)

سيرته الذاتيّة:

كان والده ملاّ حسين من تجّار الحرير فى هراة يتّجر بها الى مشهد خراسان وكان محبّاً لأهل العلم والعلماء، تزوّج فى هراة وولد له أربعة أولاد رابعهم شيخنا الآخوند محمد كاظم.

وكانت ولادته ـ على ما اشتهر ـ فى طوس بعد أن استقرّ فيها والده وذلک سنة (١٢٥٥ هـ).

بدأ الآخوند دراساته الأدبيّة فى مدينة مشهد الرضا صلوات الله تعالى عليه وأكمل فيها العربيّة والمنطق وأخذ شيئاً من الأصول والفقه وخرج منها متوجّهاً الى النجف عام (١٢٧٧ هـ) وتوقّف لمدّة أربعة أشهر فى سبزوار، قيل: انه حضر فيها على الشيخ ملا هادى السبزوارى صاحب المنظومة الشهيرة فى المنطق والفلسفة، إلاّ أنّ حفيده العلامة الشيخ عبدالرضا أحمد الكفائى ينكر ذلک[1] ويقول: انه لم يحضر عليه.

ثم سافر الى طهران وبقى فيها لمدّة طالت سنة وازداد خمسين يوماً حضر فيها على الحكيم الإلهى الفيلسوف الكبير السيّد أبو الحسن جلوه واستفاد منه فى البحوث الفلسفيّة.

ثم توجّه منها إلى النجف فوردها عام (١٢٧٩ هـ) وحط عصا ترحاله عند عتبة الامام أمير المؤمنين عليه السلام فحضر بحث السيّد محمد حسن الشيرازى واختصّ به وكان يخرج معه الى درس الشيخ الأعظم الأنصارى و لم يترک المشاركة الى أن التحق الشيخ بالرفيق الأعلى فى جمادى الأولى من سنة (١٢٨١ هـ) فكان حظّه من الحضور عنده سنتين وبضعة أشهر.

كما حضر على الشيخ راضى فقيه العراق وابن خاله الشيخ مهدى كاشف

الغطاء لكنه على كل حال لم يترک ملازمة درس السيّد إطلاقاً حتى كان من خاصّته وفى عداد أكابر تلامذته إلى أن هاجر إلى مشهد العسكريّين صلوات الله تعالى عليهما فى أواخر سنة (١٢٩١ هـ) فالتحق به الآخوند سنة (١٢٩٣ هـ) و لم تطل مدّة المجاورة فقفل راجعاً الى النجف سنة (١٢٩٤ هـ) واستقلّ بالدرس، وكان السيّد حسن الصدر الكاظمى والشيخ محمود ذهب الظالمى من أوائل من حضر عليه فى دورته الأولى، وأصبح فى أواخر العشر الأوّل من القرن الرابع عشر من مشاهير المدرّسين رغم وجود وفرة من العلماء والفحول بما فيهم الميرزا حبيب الله الرشتى والشيخ على النهاوندى و...

وتقدّم الى المرجعيّة بعد وفاة أستاذه الشيرازى فى سنة (١٣١٢ هـ) مع جماعات من الفقهاء، منهم: السيّد أبو القاسم بن معصوم الإشكورى والسيّد محمد كاظم الطباطبائى والسيّد إسماعيل الصدروالشيخ محمد تقى الشيرازى والشيخ عبدالله المازندرانى والشيخ الميرزا حسين الخليلى والشيخ محمد على الغروى النخجوانى ... إلى كثير غيرهم.

وطبعت حواشيه على عدّة من الرسائل العمليّة المعمولة آنذاک مع جماعة من العلماء كحاشيته على **«نخبة»** الكلباسى (١٢٦٢ هـ) و**«نجاة العباد»** لصاحب **«الجواهر»** و**«مجمع المسائل»** لأستاذه السيد الشيرازى.

و**«الجامع العباسى»** للشيخ البهائى (١٠٣٠ هـ) و**«ذخيرة العباد ليوم المعاد»** و**«وسيلة النجاة»** للفاضل الشرابيانى (١٣٢٢ هـ).

وكان له قسط وافر من المقلّدين من بين أقرانه، إلى أن حدثت قضايا المشروطة فى عهده واشتدّت فكان من الزعماء المقدّمين فيها خصوصاً وأن سمّيه السيد اليزدى اختار العزلة عنها بالمرّة، وتحمّل المرارة القاسية فى ذلک، فكان الآخوند منها بمنزلة الرأس من الجسد وعَضَدَه غالب علماء النجف الإيرانيّين إلاّ من شذّ، فطار صيته فى الآفاق حتى صار الزعيم الأوّل فى إيران والعراق.

تأليف «الكفاية»

وفى خضمّ تلك البلابل كان يفكّر أيضاً فى حلّ معضلة التطويل فى الأبحاث الأصوليّة، وقد سبقه فى هذا المضمار المولى على النهاوندى (١٣٢٢ هـ) إلاّ أنه كان قد أسّس منهجاً جديداً لا يتلائم مع مبانى مدرسة الشيخ الأعظم قدس سره وإن كان قد قدّم فيه جهداً مشكوراً فى تقليل المسافة على طلبة هذا العلم.

ومن هنا فقد قام بتدوين كتاب «**الكفاية**» وأنجز الجزء الأوّل منه الذى هو فى مباحث الألفاظ عام (١٣٢١ هـ) وطبع فى نفس السنة والجزء الثانى منه المشتمل على مباحث الحجج والأصول العملية والتعارض والاجتهاد والتقليد سنة (١٣٢٤ هـ). [فكان كلّما دوّن درساً منها ألقاه على منبره الشريف وحوزته يومئذ تربو على الثلاثمائة من أهل الفضل والتحقيق][٢].

وشاءت الأقدار الإلهيّة ـ وهو سبحانه على كل شيء قدير ـ أن تجتمع عليه حشود أهل العلم وطلبة الفضيلة بما لم تجتمع لأحد قبله اللهم الا ما يحكى عن شريف العلماء المازندرانى (١٢٤٦ هـ) والسيّد ابراهيم القزوينى (١٢٦٢ هـ) صاحب الضوابط بعد وفاة أستاذه المزبور.

وذلک لأسباب مختلفة:

منها: انه قائد ثورة المشروطة ورئيسها المفدّى، وعامّة طلبة النجف كانوا من أبنائها.

ومنها: أنّ عمدة الأعلام المعاصرين له التحقوا بالرفيق الأعلى كالشيخ محمد حسن المامقانى والشيخ الفاضل الشرابيانى والشيخ محمد طه نجف والشيخ آغا رضا الهمدانى والسيّد محمد الفشاركى ونظرائهم.

ومنها: تحقّق التكفير فى حق الشيخ هادى الطهرانى المنافس للشيخ حبيب الله الرشتى فى وقته واعتزاله الساحة مطروداً بالمرّة ثم وفاته سنة (١٣٢١ هـ).

ومنها: اعتزال السيّد اليزدى لثورة المشروطة تماماً، مع انه لم يكن أقلّ شأناً

من الآخوند لو لم يكن مقدّماً عليه.

ومنها: طلاقة اللسان وقوّة البيان التى كان يتمتع بها الآخوند +، بما لايقاس به غيره من معاصريه على ما هو المشهور.

ومنها: انه كان جهورى الصوت بحيث يستفيد منه القريب من منبره والبعيد عنه.

ومنها: قدرته الفائقة على إدارة مجلس الدرس الحافل برجال فضلاء أذكياء علماء قد بلغ الكثير منهم مرتبة سامية من العلم؛ فإنّ الهيمنة على مثل هذا المجلس لاتتأتّى إلاّ من شخصيّة علميّة عبقريّة فذّة، ولايوفّق لمثل ذلک إلاّ ذو حظٍّ عظيم، وهذا المعنى واضح ملموس لمن تصدّى للتدريس لحلقة بسيطة، فكيف بالتى كان يديرها الخراسانى وفيها المئآت من المجتهدين فضلاً عن الفضلاء الكاملين!

ومنها: اختصاره فى البحث الذى كان التطويل فيه يُعدّ مفخرة لصاحبه.

ومنها: انه كان ليّن العريكة دمث الأخلاق، متواضعاً يتمتع بصفات أريحيّة، يحبّ العلم وأهله، يتواضع لهم، خافضاً لهم جناح الذلّ من الرحمة، يصغى الى تلامذته ويشجّعهم على مواصلة الدرس والبحث.

ومنها: أنّ هذه المدرسة بما تحمل من أفكار دقيقة وعميقة أصبحت مدوّنة بقلم صاحبها لأجل النشر والبث والتعليم والتدريس، مضافاً الى أنّه تصدّى بنفسه لتدريس الكتاب قبل كلّ أحد بما فى ذلک من فوائد تترتّب عليه: من نقل الفكرة الصحيحة الى الجيل الجديد، وتربية أمّة تحمل معالم هذه المدرسة هذا كله.

مضافاً الى المقبوليّة العامّة التى حظى بها من أهل العلم بكافة طبقاتهم والمحبوبيّة الخاصّة فى نفوس عامّة المؤمنين.

فكان يفتخر الطالب أن يكون الآخوند أستاذاً له، ويعتزّ الأستاذ أن يكون مقرّراً لدرسه أو مدرّساً لـ«**كفايته**»[٣] أو شارحاً لها.

ومن هنا كثرت الشروح والحواشى على هذا الكتاب حتى خرجت عن حدّ الإحصاء؛ لكون الكثير منها لم يخرج إلى الطبع، أو بقى عند الأولاد والأحفاد الذين لم يكونوا من أهل العلم وأدّى ذلک إلى تلفها، أو بقاءه فى زوايا المكتبات الشخصيّة، أو أنّه بقى فى المسودّة و لم يخرج الى البياض، فلم يذكر فى كتب الفهارس، خصوصاً إذا أخذنا بعين الإعتبار انتشار تلک الكثرة الكاثرة من تلامذته فى أقطار العالم الإسلامى، وأنّه لم يأت لهم ذكر حتى فى المعاجم الخاصة بتراجم رجال العلم، وها هو بعض إخوتنا المحققين استقصى تلامذته من خلال مراجعة كتب التراجم وبذل جهداً كبيراً بمراجعة عشرات المصادر فلم يحص أكثر من ثمانمائة رجل[٤].

وأين هذا مما ذكره آغا بزرک الطهرانى رضوان الله تعالى عليه فى «**طبقاته**» حيث قال:

«فقد عدّ تلاميذه عند الشروع فى مباحث الألفاظ فى الدورة الأخيرة ليلاً فبلغت عدّتهم ألف ومائتان أو أكثر، وقبل الدورة الأخيرة كان يحضر بحث أصوله نيّف وثمانمائة من الفضلاء المبرّزين وغيرهم»[٥].

ومهما يكن من أمر: فقد استطاع المحقق الهراتى الخراسانى أن يفرض نفسه لا فى تلک الحقبة الزمنيّة الخاصّة التى عاشها فحسب، بل على الأجيال اللاّحقة فى العصور التى من بعده وإلى ساعتنا هذه، ولاتزال «**الكفاية**» ــ وقد تجاوزت المائة وعشر سنوات ــ الكتاب الأوّل فى أعلى مراحل دراسات السطوح العالية، بل وعلى غراره يسير المدرّسون وعلماء الطائفة ــ فى الأعم الأغلب الا من شذ وندر ــ فى تدريسهم لأبحاث الخارج التى تمثّل أعلى المستويات الدراسيّة فى الحوزات العلميّة.

و لم يتلخّص دور المحقّق الخراسانى بخصوص التربية والتعليم والتأليف والتصنيف فقد خاض حركة الجهاد ضدّ الاستبداد الملكى الإيرانى وزعم ثورة

المشروطة بما جرى فيها من زوابع وزعازع التى انتهت بوفاته قدس الله تعالى نفسه الشريفة فجأة يوم الثلاثاء فى ٢٠ ذى الحجة عام ١٣٢٩ هـ .

وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً كثرت فيه النياحة واللَّطم والبكاء من كافّة الطبقات وأُقيمت له الفواتح فى مختلف البلدان لا سيّما النجف الأشرف وأقبر ليلة الأربعاء فى مقبرة الشيخ حبيب الله الرشتى الواقعة فى يسار الداخل الى الصحن الشريف من الباب الشرقى.

أولاده:

تزوّج فى مقتبل شبابه فى مشهد وولد له واحد وتوفى هناك وهو فى مهجره فى الغرى، ثم لحقته زوجته بعد أن هاجرت إلى النجف.

إلى أن يسّر الله جل جلاله الزواج له مرّة ثانية فولد له منها:

١ـ الشيخ الميرزا مهدى (١٢٩٢ هـ ـ ١٣٦٤ هـ)

٢ـ آية الله الميرزا محمد (١٢٩٤ هـ ـ ١٣٥٦ هـ)

٣ـ آية الله الميرزا أحمد (١٣٠٠ هـ ـ ١٣٩١ هـ)

٤ـ زهراء (١٣٠٨ هـ ـ ١٣٧٩ هـ).

كما تزوّج ثالثة وولد له منها:

١ـ حجّة الاسلام الحاج حسين (١٣١٨ هـ ـ ١٣٩٦ هـ) توفى فى النجف

٢ـ حسن (١٣٢٠ هـ ـ ١٣٧٣ هـ) وكان من رجال الدولة السياسيين.

ومما يجدر بالذكر:

أن الميرزا مهدى كان ناشطاً فيما يرتبط بالمشروطة والقضايا السياسيّة.

كما أن الشيخ محمد كان من العلماء البارزين ومن أعلام الأحداث

السياسيّة والإجتماعيّة فى إيران، واستشهد أخيراً بيد جلاوزة النظام البهلوى الهالک سنة (١٣٥٦ هـ).

«يقول آية الله السيد موسى الشبيرى الزنجانى ـ دام ظلّه ـ وهو يتحدّث عن الشيخ محمد ومقامه العلمى ـ : كان [آية الله] السيّد جواد الخامنه‌اى [والد السيد القائد حفظه الله ورعاه] يقول:

لم يكن أحد مسلّطاً على أبحاث «**الكفاية**» كتسلّط الشيخ محمد عليها»[٦].

أقول: وهذا يعنى أن الشيخ محمد كان من أوائل الذين تصدّوا لتدريس كتاب والده رضوان الله تعالى عليهما.

وأمّا آية الله الميرزا أحمد فكان من أعلام المشهد الرضوى وكان له بها حلقة بحث على مستوى الخارج، وتخرّج عليه عدّة من الأفاضل، وله ـ كأخيه الشيخ محمد ـ خدمات جليلة تغمّدهما الله تعالى بواسع رحمته.

يخلفه اليوم **العلاّمة المفضال فضيلة الحاج الشيخ عبدالرضا الكفائى** صهر المرحوم آية الله الشيخ محى الدين المامقانى مَنَّ الله عليه بالعافية وزاد فى توفيقاته.

تلامذته ﷺ :

ونحن نقتصر على المشاهير منهم؛ لضيق المجال، ومن شاء الإطّلاع الكافى فليراجع الجزء ١٧ من كتاب «**الطبقات**» لآغا بزرک الطهرانى، وأيضاً المقال الذى كتبه صديقنا العزيز *فضيلة الباحث المحقق الموفق الحاج الشيخ رضا المختارى*[٧] بهذه المناسبة والمطبوع ضمن مجموعة مقالات مؤتمر تكريم شخصيّة الآخوند الخراسانى فى المجلد الثامن ص٣٣٢ ـ ٣١٠ فليُغتنم.

وإليک سرد الأسماء:

١ـ السيّد أبو الحسن الموسوى الأصفهانى (١٢٨٤ هـ ـ ١٣٦٥ هـ)

٢ـ الشيخ الميرزا ابو الحسن المشكينى (١٣٢٥ ـ ١٣٥٨ هـ)

٣ــ الشيخ أبو القاسم الكبير القمى (م ١٣٥٣ هـ)

٤ــ السيّد أبو القاسم الكاشانى (١٢٩٣ هـ ــ ١٣٨١ هـ)

٥ــ السيّد أبو القاسم الدهكردى (١٢٧٢ هـ ــ ١٣٥٣ هـ)

٦ــ الشيخ أبو الهدى الكلباسى (م ١٣٥٦ هـ)

٧ــ الشيخ أحمد بن على كاشف الغطاء (م ١٣٤٤ هـ)

٨ــ السيّد أحمد الموسوى الخوانسارى (١٣٠٩ هـ ــ ١٤٠٥ هـ)

٩ــ الشيخ ميرزا أحمد الكفائى ولد المترجم له (١٣٩١ هـ)

١٠ــ السيّد أحمد الكربلائى الطهرانى (١٣٣٢ هـ)

١١ــ السيّد ابراهيم الأصطهباناتى الشيرازى (م ١٣٨٠ هـ)

١٢ــ الشيخ إسحاق بن حبيب الله الرشتى (م ١٣٥٧ هـ)

١٣ــ الشيخ آغا بزرك الطهرانى (١٢٩٣ هـ ــ ١٣٨٩ هـ)

١٤ــ السيّد محمد تقى الخوانسارى (م ١٣٧٣ هـ)

١٥ــ السيّد جعفر بحر العلوم (١٢٨١ هـ ــ ١٣٧٧ هـ)

١٦ــ السيّد جمال الدين الموسوى الگلپايگانى (١٢٩٥ هـ ــ ١٣٧٧ هـ)

١٧ــ الشيخ محمد جواد البلاغى (١٢٨٢ ــ ١٣٥٢ هـ)

١٨ــ الشيخ جواد آل الجواهرى (١٣٥٥ هـ)

١٩ــ الشيخ محمد جواد الجزائرى (١٢٩٨ ــ ١٣٧٨ هـ)

٢٠ــ الشيخ ميرزا جواد الملكى التبريزى (م ١٣٤٣ هـ)

٢١ــ الشيخ محمد جواد القمى بن صاحب القلائد (١٣٧٣ هـ)

٢٢ــ السيّد حسن الطباطبائى المدرس الشهيد

٢٣ــ الشيخ حسن الصغير بن صاحب الجواهر (١٣٤٥ هـ)

٢٤ــ الشيخ حسن بن على الخاقانى (١٣٨١ هـ)

٢٥ــ الشيخ محمد حسن المظفّر (١٣٠١ ــ ١٣٧٥ هــ)

٢٦ــ السيد محمد حسن آقا نجفى القوچانى (١٢٩٥ ــ ١٣٦٣ هــ)

٢٧ــ الشيخ حسن حرم پناهى القمى (١٢٨٥ هــ ــ ١٣٤٧ هــ)

٢٨ــ الشيخ محمد حسن بن على العلیارى التبريزى (١٣٥٨ هــ)

٢٩ــ الشيخ محمد حسن المعزّى الدزفولى (م ١٣٣٣ هــ)

٣٠ــ السيد حسين الطباطبائى البروجردى (١٢٩٢ ــ ١٣٨٠ هــ)

٣١ــ السيد حسين الموسوى الحمّامى (١٢٩٨ هــ ــ ١٣٧٩ هــ)

٣٢ــ السيد حسين الطباطبائى القمى (١٢٨٢ ــ ١٣٦٦ هــ)

٣٣ــ الشيخ محمد حسين الأصفهانى (١٢٩٦ هــ ــ ١٣٦١ هــ)

٣٤ــ السيد حسين بن رضا البادكوبه‌اى (١٢٩٣ ــ ١٣٥٨ هــ)

٣٥ــ السيّد حسين البختيارى الأصفهانى (١٣٦٨ هــ)

٣٦ــ الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (١٢٩٤ هــ ــ ١٣٧٣ هــ)

٣٧ــ الشيخ حسين الحلّى النجفى (١٣٠٩ هــ ــ ١٣٩٤ هــ)

٣٨ــ الشيخ خلف بن أحمد العصفورى (١٣٥٥ هــ)

٣٩ــ الشيخ ذبيح الله القوچانى (١٢٧٤ هــ ــ ١٣٣٥ هــ)

٤٠ــ السيّد محمد رضا المرعشى الرفسنجانى (١٣٤٢ هــ)

٤١ــ الشيخ محمد رضا بن محمد حسين الأصفهانى النجفى آل صاحب الحاشية (١٢٨٧ ــ ١٣٦٢ هــ)

٤٢ــ الشيخ محمد رضا آل ياسين النجفى (١٢٩٧ ــ ١٣٧٠ هــ)

٤٣ــ الشيخ محمد رضا المعزّى الدزفولى (١٢٧٤ هــ ــ ١٣٥٢ هــ)

٤٤ــ السيّد رضا الهندى النجفى (١٢٩٠ هــ ــ ١٣٦٢ هــ)

٤٥ــ الشيخ ميرزا رضى التبريزى (١٢٩٤ هــ ــ ١٣٦٩ هــ)

٤٦ــ السيد مير محمد صادق الخاتون آبادى الاصفهانى (١٣٤٨ هــ)

٤٧ــ السيّد صالح الحلّى الخطيب (١٢٨٩ هــ ــ ١٣٥٩ هــ)

٤٨ــ الشيخ محمد صالح السمنانى المازندرانى (١٢٩٧ هــ ــ ١٣٩١ هــ)

٤٩ــ السيد صدر الدين بن اسماعيل الصدر (١٢٩٩ هــ ١٣٧٣ هــ)

٥٠ــ الشيخ ضياء الدين على العراقى (١٢٧٨ هــ ــ ١٣٦١ هــ)

٥١ــ الشيخ عبدالحسين الرشتى (١٢٩٢ هــ ــ ١٣٧٣ هــ)

٥٢ــ الشيخ عبدالحسين قاسم الحلّى (١٢٩٩ هــ ــ ١٣٧٥ هــ)

٥٣ــ السيد عبدالحسين شرف الدين العاملى (١٢٩٠ هــ ــ ١٣٧٧ هــ)

٥٤ــ الشيخ عبدالكريم الخوئينى الزنجانى (١٣٧١ هــ)

٥٥ــ الشيخ عبدالكريم الحائرى اليزدى (١٢٧٦ ــ ١٣٥٥ هــ)

٥٦ــ الشيخ عبدالكريم الجزائرى (١٢٨٩ هــ ــ ١٣٨٢ هــ)

٥٧ــ السيّد عبدالله الموسوى البلادى البوشهرى (١٢٩١ هــ ــ ١٣٧٢ هــ)

٥٨ــ الشيخ عبدالنبى الصبورى الأراكى (١٣٠٨ ــ ١٣٨٥ هــ)

٥٩ــ السيّد عبدالهادى الشيرازى (١٣٠٥ هــ ــ ١٣٨٢ هــ)

٦٠ــ الشيخ عبدالهادى شليلة البغدادى (١٢٧٠ ــ ١٣٣١ هــ)

٦١ــ السيّد على النجف آبادى الاصفهانى (١٢٨٧ هــ ــ ١٣٦٢ هــ)

٦٢ــ الشيخ على الزاهد القمى (١٢٨٣ هــ ــ ١٣٧١ هــ)

٦٣ــ الشيخ محمد على الحائرى القمى (١٢٩٩ هــ ــ ١٣٥٨ هــ)

٦٤ــ الشيخ محمّد على الشاه آبادى (١٢٩٢ ــ ١٣٦٩ هــ)

٦٥ــ السيد محمد على هبة الدين الشهرستانى (١٣٠١ ــ ١٣٨٦ هــ)

٦٦ــ الشيخ على الإيروانى النجفى (١٣٠١ هــ ــ ١٣٥٤ هــ)

٦٧ــ السيّد على الدرچه‌اى الاصفهانى (١٣٥٦ هــ)

٦٨ــ السيّد على النورى النجفى (١٣٠٠ هــ ــ ١٣٦٨ هــ)

٦٩ــ السيد على القاضى التبريزى (١٢٨٥ ــ ١٣٦٦ هــ)

٧٠ــ السيّد على البهبهانى (١٣٠٣ هــ ــ ١٣٩٥ هــ)

٧١ــ السيد على آقا بن المجدد الشيرازى (١٢٨٧ هــ ــ ١٣٩٥ هــ)

٧٢ــ الشيخ محمد على الكاظمى الخراسانى (١٣٠٩ هــ ــ ١٣٦٥ هــ)

٧٣ــ الشيخ على رفيش (١٢٦٠ هــ ــ ١٣٣٤ هــ)

٧٤ــ الشيخ ميرزا فتّاح الشهيدى التبريزى (١٢٩٦ هــ ــ ١٣٧٢ هــ)

٧٥ــ السيد محمّد كاظم العصّار الطهرانى[٨] (١٣٠٥ ــ ١٣٩٤ هــ)

٧٦ــ الشيخ مشكور الحولاوى (١٢٨٥ هــ ــ ١٣٥٣ هــ)

٧٧ــ السيد محسن أمين العاملى (١٢٨٤ هــ ــ ١٣٧١ هــ)

٧٨ــ السيد محسن الطباطبائى الحكيم (١٣٠٦ ــ ١٣٩٠ هــ)

٧٩ــ الشيخ محمد سلطان العلماء الأراكى (١٢٩٦ هــ ــ ١٣٨٢ هــ)

٨٠ــ الشيخ محمد ابن المترجم له (١٢٩٤ ــ ١٣٥٨ هــ)

٨١ــ السيد محمد النجف آبادى الاصفهانى (١٢٩٤ هــ ــ ١٣٥٨ هــ)

٨٢ــ الشيخ محمد حرز الدين النجفى (١٢٧٣ هــ ــ ١٣٦٥ هــ)

٨٣ــ السيد محمد الخامنه‌اى التبريزى (١٣٥٢ هــ)

٨٤ــ السيد محمود المرعشى التبريزى (١٢٦٠ هــ ــ ١٣٣٨ هــ)

٨٥ــ الشيخ محمود ذهب الظالمى النجفى (م ١٣٢٤ هــ)

٨٦ــ السيد محمود الحسينى الشاهرودى (١٣٠١ هــ ــ ١٣٩٤ هــ)

٨٧ــ الشيخ مرتضى الچهرقانى التبريزى (م ١٣٨١ هــ)

٨٨ــ الشيخ مرتضى بن محمد حسن الآشتيانى (١٢٨١ هــ ــ ١٣٦٥

هـ)

٨٩ـ الشيخ مرتضى الطالقانى (١٢٧٤ هـ ـ ١٣٦٣ هـ)

٩٠ـ السيد مهدى بن صالح الحكيم (م ١٣١٢ هـ)

٩١ـ الشيخ مهدى الخالصى (١٢٧٦ هـ ـ ١٣٤٣ هـ)

٩٢ـ السيد مهدى بن مرتضى الدرچه‌اى (١٢٨٠ هـ ـ ١٣٦٤ هـ)

٩٣ـ السيد مهدى اسماعيل الصدر (١٢٩٦ هـ ـ ١٣٥٨ هـ)

٩٤ـ الشيخ ميرزا مهدى الآشتيانى (١٣٠٦ هـ ـ ١٣٧٢ هـ)

٩٥ـ السيد محى الدين الاردبيلى (١٢٨٠ هـ ـ ١٣٥٥ هـ)

٩٦ـ الشيخ موسى الخوانسارى (١٢٩٣ هـ ـ ١٣٦٣ هـ)

٩٧ـ الشيخ نصر الله الحويزى الكرمى (١٢٩١ هـ ـ ١٣٤٦ هـ)

٩٨ـ السيد ناصر بن هاشم الأحسائى (١٢٩١ هـ ـ ١٣٥٨ هـ)

٩٩ـ السيد نجيب فضل الله العاملى (١٢٨١ هـ ـ ١٣٣٥ هـ)

١٠٠ـ الشيخ آقا نور الله الاصفهانى (١٣٤٨ هـ)

١٠١ـ السيد هادى البجستانى الخراسانى الحائرى(١٢٩٧هـ ـ ١٣٦٨ هـ)

١٠٢ـ الشيخ هادى عباس كاشف الغطاء (١٢٨٩ هـ ـ ١٣٦١ هـ)

١٠٣ـ الشيخ ملا هاشم الخراسانى (١٢٨٤ ـ ١٣٥٢ هـ)

١٠٤ـ الشيخ يوسف بن محسن الأردبيلى (١٢٧١ هـ ـ ١٣٣٩ هـ)

١٠٥ـ السيد يونس الأردبيلى (١٢٩٦ ه ـ ١٣٧٨ هـ)

مؤلّفاته قدّس سرّه:

١ــ إبانة المختار فى إرث الزوجة من ثمن العقار بعد الأخذ بالخيار.

٢ــ كتاب الإجارة لم يتم.

ولعلّه من جملة التقريرات التى كتبها عنه ولده الشيخ محمدﷺ كما تشهد عليه المخطوطة الموجودة منه فى مكتبة الجامعة بطهران المرقمة برقم ١١٥١/٢ حيث ذكر فيها ان المؤلف هو الشيخ محمد ابن المترجم له.

٣ــ تحريرات فى الأصول

وهو عبارة عن تقريراته الأصولية التى كتبها من درس أستاذه الأكبر الشيخ مرتضى الأنصارى تبدأ من المقصد الثانى فى النهى إلى نهاية بحث المجمل والمبيّن.

توجد بخطه فى مكتبة المجلس برقم ١٤١٨٧ وتقع فى ١٣٧ ورقة.

٤ــ تقريرات

فى الطهارة إلى آخر الدماء، الخمس والوقف والطلاق والرهن والقضاء، بقلم تلميذه السيد حسن باقر الموسوى القزوينى[٩].

٥ــ تقريرات

فى الطهارة، الخمس، الزكاة، الرضاع، الطلاق، الوقف، القضاء، ومنجزات المريض، بقلم تلميذه الشيخ محمد صالح الحائرى المازندرانى[١٠].

٦ــ تقريرات

فى الدماء الثلاثة، الخمس، الرهن، الطلاق، اللقطة، ورسالة فى قاعدة لاضرر والرسالة الرضاعيّة، بقلم تلميذه السيد محمد صادق باقر الحجة الطباطبائى الحائرى[١١].

٧ــ تقريرات الصلاة

بقلم تلميذه الميرزا محمد حسين القفقازى اللنكرانى[١٢].

٨ــ التقريرات

بقلم الشيخ على الگنابادى[١٣].

٩ــ تقريرات فى الفقه

بقلم تلميذه الشيخ عبدالمحمد بن حسن زاير ادهام النجفى[١٤].

١٠ــ تقريرات فى قاعدة لاضرر والإجتهاد والتقليد، بقلم تلميذه السيد اسماعيل الخلخانى[١٥].

١١ــ التقريرات فى القضاء والشهادات

قرّره ولده الشيخ محمد من دروس والده ونسخ الكتاب شائعة رغم أنها لاتزال مخطوطة.

١٢ــ تكملة التبصرة

وقد طبع أخيراً بتحقيق السيد صالح المدرسى.

١٣ــ حاشية على الأسفار، الظاهر أنها مفقودة.

١٤ــ حاشية فرائد الأصول القديمة

١٥ــ حاشية فرائد الأصول الجديدة والتى طبعت أخيراً بإسم درر الفوائد بهمة السيد مهدى شمس الدين.

١٦ــ حاشية المكاسب، مطبوعة بهمة السيد مهدى شمس الدين.

١٧ــ الرسائل الفقهيّة

ويشتمل على كتاب الوقف والرضاع والدماء والفراق والعدالة والرهن، وقد طبعت أخيراً محققة فى مجلد واحد بتحقيق السيد صالح المدرسى.

١٨ــ رسالة فى المشتق

أهداها الآخوند للسيد على آقا الشيرازى نجل أستاذه الميرزا الشيرازى الكبير، توجد نسخة منها فى مكتبة المجلس برقم ١١٩٦/٣ تاريخها: ١٣٠٥ هــ .

١٩ــ الفوائد الأصولية وتتضمن ١٦ فائدة، وقد طبعت بهمّة السيد مهدى

شمس الدين بإسم: فوائد الأصول.

٢٠ــ كفاية الأصول

مرّ شطر من الكلام فيها وتأتى تتمّته قريباً إن شاء الله تعالى.

٢١ــ كفاية الفقه؟!

بقلم تلميذه السيد محمد كاظم الكوه كمرى الطباطبائى[١٦].

٢٢ــ اللّمعات النّيرة فى شرح تكملة التبصرة

وقد طبعت أخيراً محققة فى مجلد واحد بتحقيق السيد صالح المدرسى دام توفيقه.

٢٣ــ وله حواشى كثيرة طبعت على الرسائل العمليّة لعمل المقلّدين مرّت الإشارة إليها ولانعيد حذراً من التكرار.

محطّة البحث

كفاية الأصول

ويقع الكلام فيها ضمن فصول:

الفصل الأول:

تاريخها:

تقدّم: أنّ الحوزة العلميّة بصفة عامّة بعد الشيخ الأعظم كانت تعانى فى مادة الأصول من تضخّم البحوث عرضاً واستدلالاً؛ لأنه لم يكن بُدٌّ للباحث من الجمع بين الأصول القديمة ولو فى شطر من الأصول، وبين الأصول الجديدة فى شطرها الثانى.

وقد بُذلت جهود عظيمة فى سبيل فهم الأصول الجديدة التى نَظَّر لها الشيخ وابتدع منهجتها ورسم خريطتها، وتهافت عليها تلامذته حتى كُتِبَت مئآت الحواشى والشروح النقديّة والتوضيحيّة لبيان بنات أفكاره.

ولهذا وذاك اشتهر أن الدورة الأصولية التى يلقيها الشيخ حبيب الله الرّشتى ــ لو قُدِّر له ــ تطول إلى خمسمائة أو ستّمائة سنة.

وهو لايخلو من مبالغة بكلّ تأكيد، والمقصود من وراء ذلك: أنّ الرّشتى طويل النَفَس فى الأبحاث الأصوليّة فيكثر القول فى تحرير محلّ النّزاع ويستقصى الأقوال وأدلّتها ومناقشة كلّ دليل دليل فى كلّ قولٍ قول، ولايخرج بالنتيجة إلاّ بشقّ الأنفس بعد أن لايُبقى مجالاً للكلام ولا مناقشة فى المرام.

وهذا أيضاً فيه شىء من المبالغة ويكفيك أن ترجع إلى «**بدائع أفكاره**» لكى تعرف الحقيقة عن كثب، وهى أنه طويل النفس إلاّ أنّه ليس بتلك المثابة العالقة فى الأذهان، ولعلّ زميله المحقق الآشتيانى أطول منه نفساً كما هو المشاهد فى «**بحر الفوائد**».

ومما يقضى بالعجب أن بعضهم لّما شاهد «**البدايع**» وضخامته ولاحظ أوّل الكتاب فوجده يتكلم فى تعريف الأصول، ونظر إلى خاتمته[١٧] فوجدها معقودة لبيان مبحث التعارض، فتصوّر انه دورة كاملة شاملة لمباحث الالفاظ والحجج والأصول العملية والتعارض، ثم التفت إلى أرقام الصحائف فوجد أنها تجاوزت الستّين والأربعمائة، وكان قد عَلِق بذهنه: المشهور من تطويلات الرشتى فى بحوثه فقال: لو طبع هذا الكتاب بالطبع الحروفى الحديث أو كُتِب بخطّ الخطّاط الماهر طاهر خوشنويس على غرار كتاب «**الكفاية**» المطبوعة فى مجلّدين وطبع طبعة وزيريّة فلايبعد أن يظهر بعشرين ضعف «**الكفاية**» يعنى أنه يصبح أربعين مجلّداً[١٨].

مع أنّ هذا الكتاب منضد الحروف بين يدى بالطبعة الحديثة و لم يتجاوز الثلاث مجلّدات بالقطع الوزيرى المعمول، وكلّ مجلّد أقلّ من ستمائة صفحة والمجموع ألف وثمانمائة على أكثر التقادير، فأين الأربعون مجلّداً؟!!

وقد يقول قائل: هذا حال الكتاب وهو لم يتضمّن مجموع الأبحاث الأصوليّة فكيف بما لو كان جامعاً لها من الدفّة الى الدفّة؟ فلعله كان يبلغ هذا المقدار المقدّر فى لسان القائل.

ولكنّه وَهَم، لاينبغى الاعتناء به؛ فإنه لو سار إلى آخر البحوث على نفس الوتيرة لَما بَلغَ الكتاب الى خمسة عشر مجلّدة، فأين الأربعون؟!!

وكيف كان: فقد أورثت هذه المفصّلات ملالة لطلبة العلم، بل صدّت الأعلام عن التفرّغ للفقه وكتابة الموسوعات ــ كما تقدّم ــ حتى اقتصر الأكثر منهم على تنقيح المباحث الأصوليّة ولو بلغ ما بلغ من استهلاک الأعمار، والإقتصار على المهمّ من الأبحاث الفقهيّة كبحث المكاسب المحرّمة والبيع والخيارات والشروط التى وضع فيها الشيخ كتابه «**المتاجر**» الذى أصبح من بعده محوراً للدراسات وصار ــ لاشتماله على الأبحاث المعمّقة والقواعد الكثيرة ــ بمنزلة الأصول لسائر الأبحاث الفقهيّة، وقد مرّت الإشارة إليه.

فالطالب آنذاک يبدأ بـــ«**المعالم**» ويثنّى بـــ«**القوانين**» ويثلّث بـــ«**الفصول**» ثم يتربّع عند الشيخ لكى يقرأ «**رسائله**» الفريدة ومنهم من يضيف إليها «**التقريرات**» المشهورة بـــ«**مطارح الأنظار**»؛ لكون «**الفرائد**» خالية من مباحث الألفاظ، ثم يجلس بعدها عند بعض مشائخه لكى يخرج عندها من ربقة التقليد إلى نعمة الإجتهاد والتحقيق، فيصبح بعد كدّ شديد وعمر مديد محقّقاً أصوليّاً ـــ لو ساعدته المقادير الإلهيّة ـــ فمتى يرتع فى رياض الفقه؟ أم متى يتبحّر فى الرجال والحديث والتفسير والكلام والتاريخ وسائر الفنون بتشعّباتها؟!!

هنا قام محقّقنا الخراسانىﷺ مشمّرّاً عن ساعد الهمّة فلخّص الأبحاث الأصوليّة وحصيلة نتاج المدرستين فى شطرى الالفاظ والأدلة العقليّة فى رسالته المختصرة بعبارات موجزة تاركاً للكثير من القيل والقال، وما لا خير فيه من وجوه الإستدلال، مسقطاً لجملة من البحوث التى لاتظهر لها ثمرة إلاّ فى النّذر المبتدع بالخيال، وفى نفس الوقت لم يُخل الكتاب من ذكر أهمّ الأقوال، وعمدة ما احتجّ به الأعاظم من أرباب المقال، ثم يعمد لمناقشتها بأتمّ وجه من دون تطويل واسترسال، إلاّ فيما تقتضيه الضرورة عنده، أو وجد متّسعاً من المجال لبيان حقيقة الحال و لم يكن تقدّمه أحد فى تحقيق الموضوع أو خطر فى بال.

فنجز القسم الأوّل منها ـــ كما مرّ ـــ فى سنة (١٣٢١هـــ) بعد أن كان قد كتب بحث (**المشتق**) و(**اجتماع الأمر والنهى**) قبل عقدين من تأليف «**الكفاية**» فأدرجهما فيها بتغيير يسير، كما أدخل بحث (**استعمال اللفظ فى أكثر من معنى**) وبحث (**الطلب والإرادة**) المكتوبين عنده قديماً أيضاً فيها ولكن بتحرير جديد، فاستنسخها طلبة العلم وروّاد الفضيلة، وبدأ هو بتدريسها من على منبره والمجلس غاصّ بأهله، كما شرع فى نفس الوقت أو بعده بقليل بكتابة الجزء الثانى منها فنجزت وطبعت عام (١٣٢٤ هـــ) وطبع الكتاب فى حياته وبمباشرته، وكان قد

استنسخه زرافات من أهل الفضيلة قبل أن يطبع، ووسموه حين الطباعة بـــ (**كفاية الأصول**) كما يظهر من مقدّمتها فراجع.

وحينما كان يباشر تدريسه وَجَد الفضلاء قد استعدّوا لا لخصوص فهم الكتاب ومضامينه، بل قد صوّبوا سهام مناقشاتهم تجاهه، فلابدّ له من الدّفاع، أو الاعتراف بورودها وإصلاح الرأى أو الإستدلال، أو إدخال المناقشات المهمّة فى متن الكتاب والإجابة عنها، أو فى الهامش.

وبما أنه درّس الكتاب ثلاث دورات على أكثر التقادير ـــ كما **يقال**: من أنّ كلّ دورة كانت تستغرق ثلاث سنين ـــ فقد كثرت الإصلاحات والتصويبات فى الكتاب، بل وزاد عليه جملة من الإشكالات وأجوبتها فى الهامش مما كان يصدر من فضلاء تلامذته من أمثال الشيخ على القوچانى والسيد البروجردى رحمهم الله.

ولأجل ذلک اختلفت النّسخ، بل التصويبات زيادة ونقيصة، وتقديماً وتأخيراً، وهذا واضح بأدنى تأمّل فى حواشى وشروح تلامذته على كتابه.

ومن هنا التبس الأمر على جماعات من شرّاح كلماته من أكابر تلامذته، فكيف بمن جاء بعدهم و لم يأخذها مباشرة من لسانه؟!

حتّى كثرت الأقوال والإحتمالات والوجوه، واختلفت الأنظار من مَهَرة الفنّ، وأصبح الكتاب الذى غولى فيه حتى قيل: «**بأنه كالكتاب العزيز يفسّر بعضه بعضاً**» لايخلو من إبهام وإجمال، بل اعترف جماعة من الأكابر بعدم وضوح مراد المصنّف؛ لقصور عبارته أو مناقضته لما سبق أو يلحق.

وَاستعصت العبارات لِوَجَازتها المفرطة المقرونة بالإهمال للمقدّمات والمقارنات والمؤخّرات الكاشفة عمّا هو المقصود بالذّات، مضافاً الى الإهتمام بالجانب اللفظى من رعاية المحسّنات البديعيّة لا سيّما التسجيع ولو ضاع فى سبيله التمهيد فى فهم المراد.

هذا وذاک كلّه شجّع الأبطال من تلامذته؛ لكى يشمّروا عن ساعد الجدّ

فيكتبوا الشرح الوافى لكلماته، وبالفعل فقد نجزت بهذه المناسبة عشرات الشروح فضلاً عن الحواشى كما سيأتى التعرّض لها قريباً إن شاء الله عزّوجلّ.

هذا مضافاً الى ما قُرّر من بحوث على مستوى الخارج مما هو بمنزلة الشرح لآراء صاحب «**الكفاية**» ومبانيه ومن ثمَّ مناقشتها بكلّ ما أوتوا من قوّة فى الفهم، وجدارة فى النقد، ودقّة فى الفكر، وعمق فى التحليل، وأصالة فى الرأى، وحرّيّة فى الإختيار.

وعلى هذا:

فليس من السَّهل أن يتقدّم أحد لتحقيق هذا الكتاب وتصحيحه وضبط نصوصه وتخريج أقواله وأحاديثه، ــ خصوصاً وأنّ المصنّف لايهتمّ بالضمائر قَلَّت أو كثرت، مع كثرة الجمل المعطوفة والمعترضة، وإيجاز واختصار، وإكتفاء بإشارة وإشعار، زيادة على التسجيع الذى يُفتدى من أجله ــ ونظائره ــ إرجاع الضمير بتذكير أو بتأنيث ولو لم يتناسب مع الحديث بحيث أدّى إلى التباس وتلبيس ــ ما لم يقتلها خُبراً ويشرف على مصادرها من قريب، ويستحضر نُسَخَها المختلفة من مخطوطة ومطبوعة ويشفعها بأهمّ شروح وتعاليق أعاظم تلامذته وأبناء مدرسته، ويروّض نفسه على تلك العبارات المختزلة ترويضاً رفيقاً بأناة وتؤودة، والاّ عاد بخُفّى حنين، ولم يخلص الى نتيجة فى البين. كيف! وهى أبكار بنات أفكار شيخ «**الكفاية**»، ذلك الرجل العظيم الذى تخرّج به الكثير من أعاظم الطائفة كما رأيت.

هذا، والنّسخ مختلفة بتقديم وتأخير وحذف وإبدال، وتصويبات مختلفة من الرّجال.. الى غير ذلك من وجوه الإشكال التى ساعدت على عدم بروز كفاية محقّقة مضبوطة فى الترقيم والتقطيع والتشكيل، مضبوطة النصّ لاتحتاج الى توجيه وتأويل..

إلى غيره مما يحتاجه النصّ الدراسى من الدقّة الكافية لعرض المادّة فى أصح

النصوص بالخصوص.

ورغم أنّ الكتاب مرّ بمائة عام ودخل فى المائة الثانية وتجدّدت خلال ذلک آلات الطباعة وتطوّرت صور التحقيق بشكل واسع وطُبع الكتاب عشرات المرّات إلا أنّه لايزال بحاجة ماسّة الى الاهتمام البالغ من جهة المعنيّين بهذا الأمر الخطير كما سنشير إليه فى فصل لابُدّيّات «**الكفاية**».

ولعلّک من خلال ما شرحناه لک استوضحت الحال من أنّ الذى رامه شيخنا الخراسانى من تقليل المسافة، واغتنام الأعمار خوفاً من تضييع الوقت وإتلافه، عاد من بعده على خلافه، وأصبحت دراسات الخارج التى تُلقى عادة على ضوء «**كفاية**» الآخوند بعيدة المدى لاينتهى الأستاذ منها إلاّ فى خلال عشرين عاماً، فهو لايوفّق لتدريسها أكثر من دورتين لو وُفّق قبل ذلک بأن يبدأ التدريس فى مقتبل العمر وهو فى سنّ الأربعين، وإلاّ فأين ثمّ أين؟!

وقد يقال: هذا شأن الدراسات العُليا على مستوى الخارج، فما بال من يدرس متن «**الكفاية**» عند مَهَرة الفنّ لايخلص منها إلاّ بعد أربع سنوات على التحقيق إن لم يزد على ذلک؟

وقد قلت: أن الآخوند طاب ثراه كان يدرّسها خارجاً فى سنتين أو ثلاث!!

فنقول: إن لذلک أسباباً..

أهمّها: الإشتغال بالدرس والبحث فى طول أيّام السّنة إلاّ فى أيّام عاشوراء ونظائرها، فتكون الأوقات مغتنمة، ووجود قابليّة القابل مزيداً على كفاءة الباذل، بخلاف أيّامنا هذه التى كثرت فيها العُطَل وزدنا عليها المَطل على ما فى القابل من تشويش فى البال وعدم استعداد ولا تهيُّؤ لفهم المقال بالإطلاع المسبق والإشراف الكامل على مراجع البحث.

وانتظر تتمة الكلام فى الفصل الآتى.

الفصل الثانى:

مصادر «الكفاية»:

جرت عادة المؤلفين فى مثل هذه الفنون على أن يجعلوا كلمات بعض الأساطين محوراً لأبحاثهم وغرضاً لسهام مناقشاتهم واعتراضاتهم، فتكون هى المدار وعليها المطاف والمسار، وبذلک الأخذ والردّ والكرّ والفرّ تتمخّض البحوث وتتجرّد عن الزوائد والفضول، ويتبيّن الرأى الصحيح فيستقرّ ويُتلقّى بالقبول.

فها هو المحقّق القمى طاب ثراه قد جعل «**المعالم**» محور أبحاثه فى «**القوانين المحكمة**»، كما أنّ «**الفصول**» جعل «**القوانين**» غرضاً لما رسمه بمراسمه.

وقد ارتضى المرتضى «**هداية المسترشدين**» بـ«**ضوابط**» «**الفصول**» و«**مناهج الأصول**» «**الوافية**» لـ«**كشف القناع**» و«**الغطاء**» عن «**مشارق الشموس**» بـ«**فوائد**» «**مفاتيح**» «**القوانين**» «**المدنيّة**» و«**الدروس الحائريّة**».

وأمّا «**كفاية الأصول**»، أو فقل: «**من لاتحضره الفحول**»، فعلى غرارها سار المصنف فى المقاصد والفصول.

بيان ذلک باختصار:

انّ كتاب «**الفصول الغرويّة فى الأصول الفقهيّة**» للمحقّق الأصولى الشيخ محمد حسين الحائرى الأصفهانى المتوفى حدود سنة ١٢٥٥ ـ ١٢٥٠ هـ قُدّر له ـ وكلّ شىء عنده بمقدار ـ أن يصبح كتاباً دراسيّاً فى الحوزات العلميّة فى مختلف البلدان من الحائر الشريف والنجف الأشرف إلى أصفهان وطهران لمدّة لاتقلّ عن مائة عام منذ ولادته وإلى عقدين أو ثلاث من ظهور «**كفاية الأصول**» إلى أن انسحب تلقائيّاً عن الساحة ببركة هيمنة «**الكفاية**» على المحافل وتلقّيها بالقبول؛ حيث استغنوا بها عن المفصّلات وما هو فى التطويل كالفصول من الإشارات والمحصول من البشارات.

والإقبال على هذا الكتاب وفى طول هذه الفترة غير القصيرة يكشف عن

مدى أهميّة الكتاب وما يحمل فى طيّاته من غزارة فى المادة وقوّة فى الدليل ووضوح فى البيان، على الرغم من انه حينما عرض على شيخ المحققين صاحب «**هداية المسترشدين**» ــ أخ «**الفصول**» ــ قال فى تقريظه ــ على ما قيل ــ :

تعوزه نقطة، أى: ليكون بالصاد المعجمة دون المهملة فيصبح فضولاً لا حاجة إليه، ولا عبرة به.

وهو إن صحّ ــ *وربّ مشهور لا أصل له* ــ ففيه الجفاء بادياً غير خاف وتعدٍّ على الحقيقة من غير إنصاف.

كيف! وهو فى المتون الدراسيّة معدود خاتمةً للأصول الجعفريّة التى وضع لبنتها أسطوانة الفقه والأصول الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء الذى لم يرتض المرتضى أن يذكره إلاّ بالكناية دون التصريح ــ وهى أبلغ منه ــ فيشير إليه بتعبيره الرائج بـ «**بعض الأساطين**» ولايمرّ به إلاّ بتعظيم وتكريم وتقديم.

ففصول صاحب «**الفصول**» تمثّل الأصول القديمة، كما أنّ «**فرائد**» الشيخ طليعة بديعة للأصول الجديدة، فكفاها بذلك ميزة على غيرها.

وأنت إذا تأمّلت وجدت «**الهداية**» بعيدة عن الوغول فى المتون الدراسيّة؛ لعدم اشتمالها على دورة كاملة فى الأصول، وعدم تحريرها فى ابتداء الدخول لأجل أن تكون محوراً للدرس والبحث فى هذه الحقول.

ومن هنا أصبحت من كتب الأمّ التى يرجع إليها الباحث عند الضرورة، فلم يقلّ عنها «**الفصول**» أهمّيّة؛ لكونه من المتون، ومعدوداً فى عداد المصادر والعيون، لمن أراد الرجوع الى المفصّلات فى هذه الفنون.

من أجل ذلك ــ وهو خاتمة الأصول القديمة ــ جاءت «**الكفاية**» فى ألفاظها بالخصوص ــ وهى فاتحة الأصول الجديدة بعد «الفرائد» ــ محتذية على مثال «**الفصول**» فى المنهجة والقواعد، حتى كأنها تكاد أن تكون تلخيصاً لفصوله بطرح زوائده وفضوله، مقتبسة من أدلّة الكتاب ومغتنمة لجملة من الفوائد، محرّرة

فيها بعنوان التنبيهات من الألقاب، وهى فى واقعها نفس الفوائد المفصولة عن الفصول فى «**الكفاية**» و«**الفصول**».

فهذا أوّل مصادر «الكفاية» ولايمكن الإستغناء عنه، بل هو الطليعة والبداية، وفى إشارتنا هذه وفاء بالغرض وكفاية.

وأمّا ثانى المصادر: فهو كتاب: «**التقريرات**» الموسوم بـــ «**مطارح الأنظار**» للأصوليّ المتضلّع والفقيه البارع الشيخ أبى القاسم الكلانتريّ الطهرانيّ أحد فحول مدرسة الشيخ ومقدّميهم فى هذا المضمار المولود سنة (١٢٣٦ هـــ) والمتوفى سنة (١٢٩٢ هـــ)، حضر على شيخنا الأنصارى لمدّة لاتقلّ عن عشرين عاماً وكان من الأوائل ممّن لازمه وتخرّج به وحصل على شهادة بالإجتهاد منه وكفاه بذلک فخراً واعتزازاً وعبقريّة ونبلاً.

كما كان ممّن اهتمّ بدروس شيخه فقهاً وأصولاً و لم يفلت منه شىء من تلک البحوث إلاّ وقيّدها على الورق لكنّها لم تبرز الى النور ولعبت بها يد الزّمان فلم يُعلم مصيرُها سوى هذه التقريرات التى اهتمّ بها نجله العلاّمة المفضال الشيخ أبو الفضل (١٣١٦ هـــ) وطبعها بعد وفاة والده المحقق رضوان الله تعالى عليهما باسم «**مطارح الأنظار**» فشاعت وذاعت وتهافت على اقتناءها الفضلاء والمحصّلون وتقبّلها الأعلام والمدرّسون بقبول حسن، فاشتغل أهل العلم وأرباب الفضيلة بمدارستها ومذاكرتها ولقيت من الإقبال بحيث أصبحت من المتون التى يعتزّ بدراستها الطالبون؛ حيث وجدوا ضالّتهم التى ينشدون؛ ذلک لأنّ الأصول الجديدة لم تكن تتجاوز الأدلة العقليّة فانضمّت إليها بـــ«**مطارح الأنظار**» مباحثها اللفظيّة.

وأمّا ثالث المصادر ـــ وإن كان أوّلها لثانى الجزئين: فهو «**فرائد**» شيخنا الأنصارى المشتمل على رسائله فى القطع والظن والأصول العمليّة وتعارض الأدلة، بضميمة ما كتبه مسبقاً بعنوان الحاشية عليه المعروفة بـــ «**درر الفوائد**».

هذه هى أهم مصادر الكفاية الخراسانية.

ويأتى من بعد هذه الأمّهات وفى رتبة أدون كتابا «**هداية المسترشدين**» و«**بدايع الأفكار**» لشيخ المحققين محمد تقى الرّازى الأصفهانى (١٢٤٨ هـ) وأستاذ المجتهدين حبيب الله الرشتى قدس سرهما.

وإذ قد عرفت مضخّة «**الكفاية**» وأمّهاتها فلنعد للإشارة الى نكتة ربما يغفل عنها النّابهون فضلاً عن غيرهم وهى:

انّ طلبة ذلك العصر ـ وكما سلف أن أشرنا إليه ـ كانوا يتدارسون «**الفصول**» و«**المطارح**» و«**الفرائد**» و لم يكن شىء منها بخاف عنهم ـ خصوصاً إذا أخذنا بعين الإعتبار أنّهم أهل دراسة معمّقة، لايهمّهم من دنياهم إلاّ طلب العلم وليس لهم شغل شاغل سواه ـ فلمّا جاءهم «**الكفاية**» بما فيها من اختصار لألفاظ «**الفصول**» ومعانيه، واقتباس من «**المطارح**» و«**فرائده**»، لم تصعب عليهم استصعابها اليوم؛ حيث تُركت تلك الكتب اكتفاءً بها لاشتمالها على مهامّ مطالبها واستغناءً بها عن غيرها، فكان الترك منهم لها فى محلّه؛ لاستحضارها عندهم بمراجعة هذه الرسالة، ولذا كان الآخوند الخراسانى يدرّسها خارجاً فى سنتين أو ثلاث؛ إذ الفضلاء آنذاك بمدارسة تلك الكتب بطولها وعرضها ـ من دون اختزال ولا طفرة، ومن دون خشية أن يفوتهم موعد الامتحان من مراكز الإمتهان، وبتلك الكيفيّة العليا من الدقة والعمق من جهة الأستاذ والتلميذ ـ كانوا مراهقى الإجتهاد إن لم يكونوا مجتهدين فوَجَدَ الفاعل من القابل تماميّة الاستعداد وفعليّة القبول {**يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ**}[١٩].

ولو جاءنا الآخوند الخراسانىّ اليوم لامتحن بمشقّة تدريسنا أطول ممّا امتحن به **أستاذنا الخراسانىّ** دام ظلّه، ولبكى على توحّده وغربته واستغرب جدارته على تذليل الصعاب.

فكيف بنا والكثير من أهل العلم لايعرف منها إلاّ الأسماء؟!

وتَرْك هذه الكتب وعَزْلها يساوق طلسمة «الكفاية» التى لاتكفى من دونهنّ ولا تقى من غيرهنّ ولاتفى إلاّ بهنّ.

من أجل ذلك وخدمة لأهل العلم والدّين قمت وبتوفيق من الله عزّوجلّ بتحقيق كتاب «**الفصول**» وأنجزت منه شطراً من العمل بعد أن تمّت مقابلته بأكثر من نسخة، لكنّى توقّفت ريثما تصل إلىّ بعض النسخ القريبة من زمان التأليف وهى ذات أهمّيّة بالغة لكن بعض أرباب المخطوطات ــ حاشا أهل الشيم منهم ــ لايتعاملون على أساس الخدمة للتراث فيمتنعون من بذل تصوير النسخ إلى أهلها والمشتكى إلى الله عزّوجلّ وإلى رسوله |.

الفصل الثالث:

نتاجات «الكفاية»

تولّدت كتابات كثيرة فى هذا الفن ببركة هذا الكتاب الشريف واغنت المكتبة الأصوليّة وزادها ثراءً.

ويمكن تقسيم هذه الكتب الى قسمين رئيسيّين:

القسم الأوّل: ما توخّى تيسير العبارة وتذليل صعابها وفكّ رموزها وحلّ طلاسمها وإرجاع ضمائرها وتوضيحها وتبيينها بشكل يسهل للطالب فهم المتن.

القسم الثانى: ماكتب لأجل النقد والتحليل والتعريض بـــ«**الكفاية**» وتسجيل المناقشة والاعتراضات على المبانى المختارة وتقديم الحلول الجديدة وتطوير البحوث الى مستوى أرقى ممّا جاء فيها ولو بزعم المتصدّى للتعليق والتحشية.

ومن القسم الأوّل شرح الشيخ عبدالحسين الرّشتى وهو ـــ ان شاء الله عزّوجلّ ـــ فى طريقه الى الطبع فى أربع مجلّدات. محققاً باسم «**الكافى فى شرح الكفاية**».

ومن القسم الثانى حاشية الشيخ على الإيروانى.

وهناک قسم ثالث جمع بين المرحلتين كحاشية الشيخ أبى الحسن المشكينى.

ونحن نشير إلى جانب من هذه المكتبة الأصوليّة لكى يتطلّع الباحثون على أسماء هذه الكتب ومؤلّفيها على أقلّ التقادير إن لم يتيسّر لهم مراجعتها، ولعلّ فيهم من ينبرى لإحياء بعض هذا التراث فأكون معه شريک فى الأجر.

١ـــ شرح كفاية الأصول: ٤ ج للشيخ عبدالحسين الرشتى (١٢٩٢ هـــ ـــ ١٣٧٣ هـــ).

٢ـــ نهاية الدراية فى التعليقة على الكفاية: ٦ ج للشيخ محمد حسين الإصفهانى (١٢٩٦ هـــ ـــ ١٣٦١ هـــ).

٣ــ نهاية النهاية فى شرح الكفاية: ٢ ج للشيخ على الإيروانى (١٣٠١ هــ ــ ١٣٥٤ هــ).

٤ــ التعليقة على كفاية الأصول: ٢ ج للشيخ على القوچانى (١٢٩ ــ ١٣٣٢ هــ).

٥ــ الحاشية على الكفاية: ٢ ج للشيخ محمد على الصفائى القمى (١٣٨٥ هــ).

٦ــ حقائق الأصول: ٢ ج للسيّد محسن الطباطبائى الحكيم (١٣٠٦ هــ ــ ١٣٩٠ هــ).

٧ــ حاشية الكفاية: للشيخ مهدى الخالصى الكاظمى (م١٣٤٣ هــ).

٨ــ حاشية على كفاية الأصول: ٧ ج للشيخ محمد سلطان العلماء الأراكى (م ١٣٨٢ هــ).

٩ــ الحاشية على كفاية الأصول: ٥ ج للشيخ أبى الحسن المشكينى (١٣٠١ هــ ــ ١٣٥٨ هــ).

١٠ــ حاشية الكفاية: ٢ ج للمحقق الشيخ على ضياء الدين العراقى (١٣٦١ هــ) طبع هذا الكتاب باسم زميله العلاّمة السيد محمد النجف آبادى الأصفهانى (١٣٥٨ هــ) إشتباهاً، وقد قام ــ أخيراً ــ الأخ الفاضل الشيخ مصطفى الإسكندرى زيدت توفيقاته بتحقيق الكتاب وسيصدر عن قريب إن شاء الله عزّوجلّ.

١١ــ نهاية المأمول فى شرح كفاية الأصول: للسيّد حسن الرضوى القمى (م ١٣٤٦ هــ).

١٢ــ نهاية المأمول فى شرح كفاية الأصول: للسيد حسين الحسينى الطهرانى (١٣٢٨ هــ).

١٣ــ الهداية فى شرح الكفاية: للشيخ عبدالحسين آل الشيخ أسد الله

التسترى الكاظمى (م ١٣٣٦ هـ).

١٤ـ التعليقة على الكفاية: (مخطوط) للشيخ محمد الكبير القمى (م ١٣٦٩ هـ).

١٥ـ حاشية على كفاية الأصول: (مخطوط) للشيخ حسن على القطيفى (م ١٣٣٤ هـ).

١٦ـ حاشية الكفاية: (مخطوط) للشيخ أحمد بن محمد كاظم الخراسانى.

١٧ـ حاشية الكفاية: ٢ ج للسيد حسين الطباطبائى البروجردى (١٣٩٢ ـ ١٣٨٠ هـ).

١٨ـ حاشية كفاية الأصول: للميرزا مصطفى بن الميرزا حسن المجتهد التبريزى (م ١٣٣٨ هـ).

١٩ـ حاشية الكفاية: للشيخ محمد حسن المظفّر (١٣٧٥ هـ).

٢٠ـ حاشية الكفاية: للميرزا أبى الهدى الكلباسى (م ١٣٥٦ هـ).

٢١ـ حاشية الكفاية: للشيخ عبدالكريم الزنجانى (م ١٣٨٨ هـ).

٢٢ـ حاشية الكفاية: للشيخ حيدر على جابر الأنصارى (م ١٣٧٥ هـ).

٢٣ـ شرح كفاية الأصول: للسيّد محمد حسن النجفى القوچانى (م ١٣٦٣ هـ).

٢٤ـ شرح كفاية الأصول: للشيخ محمد رضا طاهر آل فرج الله.

٢٥ـ شرح الكفاية: للشيخ اسماعيل محمد حسن المعزّى (١٣٦٣ هـ).

٢٦ـ نهاية المأمول فى شرح كفاية الأصول: (مخطوط) للشيخ عبدالنبى النجفى العراقى ١٣٨٥ هـ كتبه فى مجلّدين ضخمين كل مجلد منه يعادل صلاة الجواهر (مخطوط).

٢٧ـ هداية الفحول فى شرح كفاية الأصول: (مخطوط) للسيّد هادى البجستانى الخراسانى الحائرى (م ١٣٦٨ هـ).

٢٨ــ هداية العقول فى شرح كفاية الأصول: ٣ ج للميرزا فتّاح الشهيدى التبريزى (م ١٣٧٥ هــ).

٢٩ــ منتهى الوصول الى غوامض كفاية الأصول: (حاشية على الاستصحاب والتعارض والإجتهاد والتقليد) للشيخ محمد تقى الآملى (١٣٠٤ ــ ١٣٩١ هــ) تقرير لأبحاث آية الله السيد أبى الحسن الأصفهانى.

٣٠ــ وقاية المحصول فى شرح كفاية الأصول:[٢٠] للسيد هبة الدين الشهرستانى (م ١٣٨٦ هــ).

٣١ــ الوافى فى شرح الكفاية: للسيّد عبدالمحسن فضل الله.

٣٢ــ الوقاية من أخطاء الكفاية: للشيخ محمد الخالصى.

٣٣ــ نظرات فى الكفاية: للسيّد عبدالرسول بن السيّد الحسين.

٣٤ــ علم الهداية فى شرح الكفاية: لإبراهيم بن الحاج جليل العلومى (م ١٣٩٨ هــ).

٣٥ــ صرف العناية فى حلّ معضلات الكفاية: للسيد محمد مهدى الخوانسارى الكاظمى (م ١٣٩١ هــ).

٣٦ــ الحاشية على كفاية الأصول: للشيخ كاظم التبريزى (م ١٤١٦ هــ).

٣٧ــ الحاشية على كفاية الأصول: للسيّد محمد حسين الطباطبائى (م ١٤٠٢ هــ). وقد أُنجزت محققةً وطُبعت ضمن حديقة الفحول.

٣٨ــ تيسير الوصول فى شرح كفاية الأصول: للشيخ قاسم الرجبى الإسلامى الطهرانى (م ١٤٠٠ هــ).

٣٩ــ الهداية فى شرح الكفاية: للسيّد محمد جعفر بن السيد محمد طاهر الموسوى الشيرازى.

٤٠ــ نهاية الوصول الى كفاية الأصول: للسيّد مصطفى محسن الموسوى.

٤١ــ نهاية المأمول فى شرح كفاية الأصول: للشيخ محمد على الإجتهادى.

٤٢ــ منتهى الدراية فى توضيح الكفاية: ٨ ج للسيد محمد جعفر الجزائرى المروّج.

٤٣ــ عناية الأصول فى شرح كفاية الأصول: للسيد مرتضى الحسينى الفيروزآبادى ٦ ج (١٤١١ هــ).

٤٤ــ الوصول إلى كفاية الأصول: ٥ ج للسيد محمد الحسينى الشيرازى (١٤٢٢ هــ).

٤٥ــ طريق الوصول الى تحقيق كفاية الأصول: ٥ ج. للشيخ محمد الكرمى الحويزى (١٤٢٥ هــ).

٤٦ــ دراسات فى أصول الفقه شرح كفاية الأصول: للسيد محمد الكلانتر (م ١٤٢٤ هــ).

٤٧ــ دروس وحلول فى شرح كفاية الأصول: ٢ ج للسيّد على بن الحسين العلوى (م ١٤٠٢ هــ).

٤٨ــ أنوار الهداية فى التعليقة على الكفاية: ٢ ج للسيد روح الله الموسوى الخمينى.

٤٩ــ بلوغ الغاية فى شرح الكفاية: ٣ ج للسيّد مسلم الحلّى.

٥٠ــ منهل الرواية إلى مشرع الكفاية للشيخ أبى الحسن الشعرانى (١٣٩١ هــ) (مخطوط).

٥١ــ هداية العقول الى شرح كفاية الأصول: ٥ ج (مخطوط) للسيّد محمد على الموسوى الأبطحى الأصفهانى (م ١٤٢٣ هــ).

٥٢ــ تحرير الأصول فى شرح كفاية الأصول: (فارسى) للسيد محمد جواد الذهنى الطهرانى (م ١٤٢٥ هــ).

٥٣ــ خودآموز كفاية: ٢ ج للشيخ عبدالكريم بن ابراهيم الخوئينى (م

١٣٧٢ هـ).

٥٤ـ شرح فارسى على كفاية الأصول: للشيخ محمد حسين النجفى الدولت آبادى الأصفهانى (عدّة مجلّدات).

٥٥ـ شرح الكفاية (فارسى) عدّة مجلدات للشيخ على المحمدى الخراسانى.

٥٦ـ بداية الوصول الى شرح كفاية الأصول: ٩ج للشيخ محمد طاهر آل راضى (١٤٠٠ هـ).

٥٧ـ هداية الأصول الى كفاية الأصول: ٤ ج للشيخ حيدر على البهسودى.

٥٨ـ سبيكة الذهب فى نظم كفاية الأصول، للشيخ محمد صالح الحائرى المازندرانى (م ١٣٩١ هـ) وهى قيد التحقيق.

واشتهرت من بين الشروح والحواشى المذكورة بعض الحواشى اشتهاراً فائقاً وأصبحت متداولة بين طلبة العلم ومقبولة لدى الفضلاء ومنها:

١ـ نهاية الدراية للمحقق الإصفهانى وقد اشتهرت بين الأعلام فضلاً عن الفضلاء بالدقّة والعمق والاستيعاب.

٢ـ حقائق الأصول للسيد محسن الحكيم، وفيه فوائد نادرة مع وجازته واختصاره.

٣ـ تعليقة الشيخ على القوچانى الذى ربما لانبالغ لو قلنا: انه لسان الآخوند +.

٤ـ حاشية الشيخ أبى الحسن المشكينى.

٥ـ نهاية النهاية للمحقق الشيخ على الإيروانى.

٦ـ عناية الأصول للسيّد مرتضى الفيروزآبادى.

٧ـ منتهى الدراية للسيّد المروّج الجزائرى.

ويعتقد **آية الله الأستاذ الحاج الشيخ مصطفى الهرندى** «دام ظله»: «أن

حاشية سلطان العلماء الأراكى التى مرّت برقم ٨ أفضل الحواشى المعروفة على الإطلاق دقة وعمقاً ومناقشةً لأعلام عصره وأكثرها دفاعاً عن الآخوند وآراءه ومبانيه»، وهى شهادة قيّمة، ومن يرجع إلى الكتاب ويتمعّن فيه يجد أن الكتاب من أفضل المصادر لمعرفة «**الكفاية**» بل ومبانى الآخوند خصوصاً وأنّ الرجل كان من تلامذته واستفاد من بعده من الشيخ محمد تقى الشيرازى ﵀ ــ الذى هو أحد أعاظم مدرسة السيد المجدّد الشيرازى ﵀ ــ غاية الإستفادة.

وهذا الشرح مفصّل جدّاً أصله فى ٧ مجلّدات وله لواحق.

ومما يؤسف له انه نادر النسخة جدّاً وطبعته كثيرة الأغلاط بحيث تعسر الإستفادة منه لغير المتمرّس الخبير.

ومثله يستحق العناية ويستأهل أن تبذل له الأعمار كى يخرج الى النور، فلعلّ الله تعالى يقيّض له رجالاً..

ولابدّ من التنبيه على انه لاينفع المبتدى، بل ولا المتوسّط، ولايعرف حقّه إلاّ الأفاضل الذين يبحثون عن النوادر والفوائد المكتنزة، فليغتنم.

ولايفوتنى أن أنوّه ها هنا بشرح الشيخ العلامة الشعرانى الذى وضعه فى عدّة مجلّدات؛ فإننى وإن كنت لم أشاهد هذا الكتاب الشريف عن كثب، لكن إيمانى بعبقريّة المصنّف وتبحّره، مضافاً الى جامعيّته للفنون، وملاحظة مقدّمة هذا الشرح المطبوعة فى مؤتمر تكريم الشيخ الأعظم يهديان جميعاً الى أهمّيّة الكتاب، ولكنه على كلّ حال لايزال مخطوطاً، ولا أنسى أنى دخلت يوماً على العلاّمة المحقق الحاج السيّد محمد رضا الجلالى «دام عزّه» وجرى ذكر الأصول و«**الكفاية**» فقال ــ ما مضمونه أو قريب منه ــ : يا حبّذا لو بذلت الجهود فى سبيل إحياء شرح الشيخ الشعرانى على «**الكفاية**»؛ فانه الذى يستأهل التحقيق والطبع.

الفصل الرابع:

كتب حولها:

هذه الكتب لها نوع من الإرتباط بشكل وآخر بالكفاية، بل هى من نتاجاتها لكنّنا أفردنا الكلام عنها فى هذا الفصل للإشارة العابرة الى ميزتها ودورها فى الأصول المعاصر.

وهى:

ما يعكس لنا المدارس الأصوليّة المعاصرة التى طرحت بعد المحقق صاحب «**الكفاية**» طاب ثراه.

مدرسة المحقق النائينى قدس سره

ونافذة الإطلالة عليها:

«**فوائد الأصول**» للشيخ محمد على الكاظمى قدس سره التى تمثّل تقرير درس النائينى فى حاضرة العلم النجف الأشرف.

أمّا مباحث ألفاظه فهو مشترک مع «**الأجود**» فى كونه تقريراً للدورة الثالثة، وأمّا مباحث الحجج والأصول العمليّة والتعارض فهى من تقرير الدورة الثانية.

و«**أجود التقريرات**» الذى كتبه السيّد أبو القاسم الخوئى قدس سره والكتاب يعبّر عن الدورة الثالثة والأخيرة التى ألقاها المحقق النائينى وهى بهذا الإعتبار أكثر أهمّيّة؛ لكونها آخر إفاداته الشريفة.

طبعاً لايمكن حصرها بخصوص هذين الكتابين الشريفين لكثرة من كتب عنه وقرّر له كالشيخ حسين الحلّى والشيخ باقر الزنجانى والسيّد محمد جواد الطباطبائى العينكى التبريزى[٢١]... إلى عشرات سواهم.

إلاّ أن هذين التقريرين يمتازان من حيث أنهما عُرضا على المحقق النائينى فى

أيّام حياته وقرّظهما وأجاز طباعتهما ولايخفى ما لذلک ـــ فى حد ذاته ـــ من قيمة.

وعلى أىّ حال يمتاز النائينى فى أصوله: بالدقّة الوافية وقوّة البيان وجودة الإستدلال وعمق الفكرة والنّقد الصائب، وإصابة الرأى، وانسجام المبانى والقدرة على التحليل العرفىّ السليم بالإضافة الى الفهم الموهوب.

وقد أنعم الله عزّوجلّ عليه بتلامذة أذكياء، فضلاء، علماء، ملازمين، أهل قلم وتحقيق ودرس وبحث.

ويمتاز «**فوائد الأصول**» بسلاسة العبارة، ووضوح المعانى، وعذوبة البيان، وتسهيل الفكرة.

كما يمتاز «**الأجود**» بالدقّة فى التعبير، والإيجاز فى القول، وعدم خلط أفكار المقرّر بإفادات الأستاذ، وإنما جاءت مفروزة فى الهامش، بخلاف «**الفوائد**» فانه قد يختلط فيه كلام المقرّر بكلام الأستاذ.

وفذلكة الكلام:

ان هذه المدرسة أكثر اهتماماً بالجانب العرفى ومن ثمّ التحليل الصحيح لمدرسة الشيخ الأعظم والدفاع عنها كما تكثر النقد لمبانى الآخوند الخراسانى.

«مدرسة المحقق العراقى قدس سره»

وتتمثّل اليوم فى كتاب «**مقالات الأصول**» الذى ـــ اشتهر انّه ـــ كَتَبه بقلمه لكى ينسخ «**الكفاية**» ويحتلّ مكانتها فى المتون الدراسيّة، لكنّها محاولة دون جدوى؛ حيث لم يوفّق الى ساعتنا هذه، بل أصبح مجهول العنوان لدى أغلبيّة طلبة العلم فى هذه المرحلة.

لكنّه على كلّ حال يعتبر من خيرة الكتب الموضوعة لهذا الفن بما يشتمل عليه من أفكار معمّقة، وبما يُعبّر عن آخر ما توصّل إليه فكر المحقق العراقى فيما

يرتبط بأصول الفقه، زيادة على ما فيه من طول باع، ونظم وانسجام وإبداع، واختصار فى البحث وإيجاز فى التعبير.

ثمّ كتاب «**نهاية الأفكار**» الذى قرّره الشيخ محمد تقى البروجردى من دراساته رضوان الله تعالى عليه، ورغم أنّ الكثير من أقرانه قرّروا دراسات أستاذهم العراقى كالكلباسى فى «**منهاج الأصول**» وغيره فى غيره، إلاّ أنّهم لم يحضوا بالإقبال التام، كما حظى به الشيخ البروجردى فى «**نهاية أفكاره**».

وقد يُعدّ كتاب «**بدايع الأفكار**» للشيخ الميرزا هاشم الآملى كمصدر ثالث للتطلّع على آراء المحقق العراقى، إلاّ أنّ المطبوع منه نادر لا وجود له فى الأوساط، مضافاً الى أنه يشتمل على خصوص مباحث الألفاظ، ولست أدرى أكتب تمام البحوث من أستاذه، أم أنه اقتصر فى التقرير على المطبوع!!

وقد يضاف الى ما ذكرناه:

«**حواشى**» آغا ضياء بقلمه على الأدلة العقليّة من كتاب «**فوائد الأصول**».

إلاّ أنّه لاينبغى عدّه مصدراً مستقلاً لآراءه الأصوليّة طالما نجدها فى الأعمّ الأغلب مقتبسة حرفيّاً من كتاب «**نهاية الأفكار**» وتكراراً لألفاظه ومعانيه.

يقول سيّدنا الأستاذ الرجالى المحقق والفقيه الأصوليّ البحّاثة المتتبع آية الله الحاج السيد أحمد المددى دام ظلّه: «وجدت التطابق الحرفى بين «**النهاية**» وحواشى «**الفوائد**» و لم أجد من تنبّه لذلک قبلى، و لم أعرف أنّ أيّاً منهما أخذ من الآخر، وسألت سبطه الشيخ مهدى الآصفى فلم يكن يعلم بذلک» إنتهى.

أقول: الظاهر أنّ تقرير «**النهاية**» أقدم من حواشى «**الفوائد**» لأنّ «النهاية» كتبت قبل طبع «الفوائد» فالشيخ آغا ضياء العراقى هو المقتبس من «**النهاية**» والله العالم.

وإن صحّ هذا الإستظهار ـــ وهو قويّ جدّاً ـــ فسوف تزداد قيمة «**التقريرات**» باعتبار أنّها ليست معروضة على المحقّق العراقى فحسب، بل كانت

فى متناول يده وكان يرجع إليها فى كتابة حواشيه على «**فوائد**» النائينى، بل ولعلّه كان يستفيد منها فى تدريسه الدورة الأخيرة من الأبحاث الأصوليّة.

ولو صحّ ذلک فلم لانجد تقريظاً على الكتاب بقلم الأستاذ؟!

فلعلّه كتب، ولو كتب لبان، ولعلّه ضاع حينما تصدّى لطبع الكتاب وكان الشيخ قد انتقل الى رحمة الله تعالى.

ولو كان كما يُظنّ، فلم لم يؤشّر المقرّر الى كتابة الأستاذ وضياعها!

ولعلّه لو أشّر لم يُقبل منه لرجوعه بشكل وآخر الى تزكيته، وهو أجلّ قدراً وأرفع نفساً من أن يضع نفسه مورداً للإتّهام ـــ ولو من جهة المغرضين ـــ فرأى أن السكوت أولى وأحرى، فالمهم عرض الفكرة وطرح آراء الأستاذ ومبانيه، وجعلها فى متناول المجامع العلميّة وأرباب الفن، والرّجل يطير بهمّته.

ولعلّ الأستاذ لم يكتب التقريظ وحال الأجل بينه وبينه كما ليس بالبعيد.

وكيف كان: فاقتباس الأستاذ من تقريرات تلميذه من خيرة الشواهد على ما يتمتع به البروجردى من قبولٍ عند الأستاذ، وإكبار وتبجيل وتجليل، وهل تطلب بيّنة بعد هذا الإستناد؟ وهل من شاهد أقوى من هذا الاعتماد؟ وليس وراء عبادان قرية.

ومهما يكن من أمر: فإن الشيخ محمد تقى البروجردى استطاع ـــ من خلال كتابه «**نهاية الأفكار**» ـــ أن يثبت جدارته الفائقة على الإحاطة الكاملة بمدرسة أستاذه، وأن ينقلها الى الآخرين فى أجمل تصوير وأروع تعبير، وأن يحرّرها بقلم خلاّب وبيان جذّاب فى أفضل تحرير.

وكان يقول **الأستاذ الفقيه الرّاحل الشيخ الفاضل اللنكرانى:** «المعروف بين مشائخنا انه لم يكتب تقرير أفضل من هذا التقرير؛ لما يشتمل عليه من سلاسة فى التعبير، وسلامة فى النقل، مع حفظ للمستوى العالى من الفكر الأصولىّ الرّاقى للمحقّق العراقى قدس سره». إنتهى.

وعلى أيّ حال؛ فإنّ المحقق آغا ضياء اجتهد فى المبانى الأصوليّة مرّتين ــ إن صحّ التعبير ــ ذلک لأنّه حضر على المحقق الخراسانى فترة طويلة ولازمه برهة غير قصيرة، واختصّ به حتّى عدّ فى الطليعة من تلامذته وأتقن آراءه وتضلّع فى مدرسته حتى استقلّ بالتدريس من بعده، ثمّ لّما برز المحقّق النائينىّ فى عصره وتقدّم على مشاهير وقته، وتزعّم المعاهد العلميّة وذاع صيته وانتشرت أفكاره وعُرِفت آراؤه، وتبيّن انه جعل «**الكفاية**» عُرضة للنقد والأخذ والردّ، إنبرى للتعرّف على ما يتبّناه النائينى من آراء ونظريّات، ثمّ قام بالدّفاع عن شيخه الخراسانى بكلّ ما اُوتى من مواهب فى هذا السبيل، وناقشه وفنّد آراءه ودلّل على مواضع الضعف فى إستدلالاته، لكنّه اُتِىَ من حيث لايشعر، فأضطرّ إلى قبول الكثير ممّا تبنّاه صاحبه وسَلّمَ له واعترف به وأقرّ له، وأصبح النائينىّ مهيمناً عليه.

مع انه حاول أن يبقى جهد المستطاع مستقلاً ويحتفظ باستقلاليّته.

وبالجملة: فقد عُرِفَت مدرسة العراقى بالدقّة العقليّة المفرطة وابتعدت بذلک عن العرف المستقيم وجانبت الذوق السليم فلم تلق قبولاً بين الأصحاب، وأثّر ذلک على فقهه بشكل مباشر حتى قيل: «**إنّ فقهه أصول، وأصوله معقول، ومعقوله غير مقبول**».

ولكنّ الانصاف: انّ هذا القول ــ على إطلاقه ــ خال عن الإنصاف؛ فإنه لا مجال لإنكار ما كان يتمتع به من الذّهن الوقّاد وسرعة الانتقال وقوّة الانتقاد، مضافاً الى تأمّلات له مفيدة وتنبّهات جديدة، وإبداعات عديدة، وآراء سديدة.

وقد استفاد الكثيرون ممّا شيّدته هذه المدرسة من أفكار وأنظار وفتحت لهم آفاقاً تمكّنوا ــ من خلالها ــ أن يخطوا خطوات بعيدة.

وأخيراً مدرسة المحقّق الأصفهانى

وهو أحد الأفذاذ الذين تعتزّ بهم محافل أهل العلم وروّاد الفضيلة.

حضر على شيخه الخراسانى لمدّة ثلاثة عشر عاماً، لم يفته الحضور الاّ فى يوم عاصف كثرت فيه الأمطار واكتظّت الشوارع بالمياه وغلب على ظنّه أنّ الأستاذ سوف لن يتمكّن من الحضور، فتبيّن خلاف ذلک وانه حضر مع جماعة من تلامذته واستمرّ الدرس.

وقيل: أصابه وجع فى العين شديد فلم يستطع معه الحضور، وفاته مرّة أخرى.

وكان من الملازمين له والمعتقدين به، ومنه أفاد وعليه تخرّج.

كما كان فيلسوفاً عملاقاً فاغرق نزعاً فى الحكمة وبلغ فيها مرتبة يقول عنه تلميذه الشيخ محمد رضا المظفّر: سمعته يوماً يقول: **لو علمتُ أنّ أحداً فى الصين يعرف الفلسفة الصدرائية (الأسفار) لرحلت إليه.**

وكأنه يريد أن يقول: «لا أعرف أحداً أكثر خبرة، ولا أوسع اطلاعاً منّى فيها».

وقد تجاوز الحدّ فيها حتى جعل أصوله فلسفة، بل وفقهه أيضاً، حتى أنّى لو قلت: انه مزج الفقه والأصول بالفلسفة مزجاً لم يسبقه أحد من علماء الطائفة، لم أكن مجازفاً ولا مغالياً، ولرجوت أن أكون صادقاً.

فقد تبلورت آراؤه ونظريّاته الأصوليّة بصياغة فلسفيّة دقّيّة عقليّة بحتة، ابتعدت عن العرفيّات بمسافات، وجمعها فى كتابه «**نهاية الدراية**» الذى جعله شرحاً على «**كفاية**» أستاذه وكتب شطراً منه فى ريعان شبابه عندما كان يحضر على شيخه الآخوند وأكمله من بعده، وأودعه أسراراً وكنوزاً، وأبدع فيه غاية الإبداع، وأبدى فيه عقليّة جبّارة وعيناً بالعلم فوّارة، يعترف له بها كلّ نيقد بصير ومطّلع خبير، ولايزال ممّن تُمَدّ إليه الأعناق، ولايُشقّ له غبار فى سباق، فكيف يُبارى أو يطاق؟!

ومن هنا لم ينسج على منواله، إلاّ مَن اُعجب بحاله ومقاله، وهم بطبيعة

الحال قليلون.

بهذه الإشارات العابرة ظهر لک: أنّ المدرسة الأصوليّة اليوم نائينيّة أكثر منها عراقية أو أصفهانيّة.

كما تبيّن لک: أنّ هذه الكتب التى عرفنا من خلالها آفاق هذه المدارس جديرة بالإهتمام والإغتنام مذاكرة وبحثاً وتنقيحاً وتعريفاً وإشادة وتكريماً؛ لما فيها من ربط بحلقاتها الماضية ربطاً وثيقاً لايستغنى الباحث عنها مهما بلغ من المستوى الرفيع فى هذا العلم، وأنها لاتقلّ أهميّة عن «**الكفاية**» لو لم نقل أنها ممتازة عليها، على أنها تمثّل الخطّ الرّسالى الذى رسمته «**الكفاية**» من قبلها.

رحم الله أعلامنا الماضين وحفظ الباقين وشكر الله جلّ جلاله سعيهم.

الفصل الخامس:

لابدّيّات «الكفاية»:

لا إشكال أنّ المدارس الأكاديميّة والمعاهد العلميّة فى العالم لها عناية خاصّة بالمتون الدراسيّة؛ حيث لها لجان مشرفة على اختيار النصّ الدراسى وتطويره، وأساليب تدريسه ومناهج تعليمه، وتزويد الطالب والأستاذ بكلّ ما يعينه على الفهم الصحيح، والتفهيم الصريح، وسرعة الانتقال، ودسومة المادّة، والتدليل على مراجع البحث ومصادر الفن وجعلها فى متناول الجميع هذا.

مضافاً الى بالغ اهتمامهم بنوع الطباعة وكيفيّتها بعد عرض الكتاب على هيئة علميّة أخصّائيّة إذا تمّت جميع المقدمات من ضبط النصّ وتحقيقه وتدقيقه وتنميقه...

فكيف بما إذا كان الكتاب مخطوطاً متعدّد النّسخ، قد كثر فيه الحذف والإبدال، والزيادة والنقيصة من المصنّف والرّجال الذين تخرّجوا عليه مع اشتمال الكتاب على أفكار علميّة دقيقة، وعبارات صعبة تعمّد المصنّف فى طلسمتها وتعقيدها وتلغيزها أحياناً كما فى كفايتنا التى قال عنها حرز الدين (١٣٦٥ هـ) ــ وهو أحد أعلام وقته ــ :

«كَتَب [الخراسانىّ فى الأصول] كتابة ملؤها التحقيق إلاّ أنّه اختار تعقيد عبارتها، ويراه فنّاً امتاز به... ودراستها أتعبت طلاّب العلوم، خصوصاً إذا كان مدرّسها فارسيّاً[٢٢]».

وإذا كان يرى تعقيد العبارة فنّاً امتاز به فهل تغنى التمنيّات بليت وليت.

ليتَ وهل ينفع شيئاً ليتُ ليت الشباب بوع فاشتريتُ

وليته عندما كتب هذه الرسالة قدّمها إلى بعض أدباء تلامذته كالشيخ محمد رضا الاصفهانى لكى يحرّرها له تحريراً أدبيّاً علميّاً أصوليّاً بلسان عربىّ مبين!

وعلى أىّ حال وبعد أن لمسنا واقع الأمر فنحن نشير ــ وبهذه المناسبة ــ

إلى بعض لابدّيّات «**الكفاية**» فعسى أن يقدّم الله سبحانه ما فيه الخير والصّلاح **{لله الأمرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ}**[٢٣]:

أوّلاً: ضرورة تحقيق الكتاب من جديد بعرضه على نسخة المؤلّف ــ الأولى ــ والنسخة المطبوعة التى عليها تصحيحات ولده الشيخ محمد مضافاً الى العناية الكاملة بالتغيير الحاصل فى نفس النسخة المطبوعة الأولى بإشرافه وفى أيّام حياته حيث تعتبر تصحيحاً ثانياً كما تعتبر التصويبات التى كتبها ولده ــ وفى خلال تدريس والده للكتاب بالطبع ــ تصحيحاً ثالثاً، وما كتبه أعاظم تلامذته من مجلس درسه، أو ما استظهروه من بعده من خلال تدريسهم المكرّر للكتاب كالمحقق القوچانى والمشكينى والرشتى وآغا ضياء ونظرائهم رحمهم الله.

وتخريج المصادر ومراجع البحث بدقّة كاملة، وتقطيع النصوص وترقيمها، وإضافة العناوين اللازمة وإن أدّى ذلک إلى تكبير حجم الكتاب ووضعه فى أكثر من مجلّد؛ لأن الغرض الأوّل والأساس من وضعه هو التعليم، فلابدّ من التوسّل بكلّ ما يعين على سرعة التفهيم والتعليم.

ثانياً: تعريب الكتاب وتشكيله بعلائم الإعراب.

ثالثاً: تحرير الكتاب تحريراً علميّاً دقيقاً وفى نفس الوقت أدبيّاً بلسان عربىّ مبين **دون عربيّة بمبى** ــ كما يقال ــ ليكون إلى جنب «**الكفاية**» نفسها.

رابعاً: تلخيص آراء ومبانى الآخوند الخراسانى وعمدة أدلّته بصورة واضحة وشفّافة؛ بحيث أنّ من أراد أن يتوصّل إلى معالم هذه المدرسة يمكنه وبكل سهولة أن يمرّ بها ملخّصة ببيان سهل وتعبير جزل.

ولابدّ من التعجيل فى ذلک قبل أن يأتى آخرون ــ وهم فى الطريق ــ فيسبقوننا فى توضيح وتبيين تراثنا.

خامساً: البحث فى نتاجات «**الكفاية**» وعرض أهمّها المشتمل على التوضيح الكافى والتفصيل الوافى، المملوء بالدقة والتحقيق، الطافح بغزارة المادّة وإتقان

الدليل وقوّة البيان والقلم الرّصين.

لا سيّما التقريرات الأصوليّة المكتوبة من مجلس درسه وبحثه.

وكتب

السيّد محمد حسن الحسينى الموسوى

آل العلّامة الفقيه السيّد على القارون الزاهد البحرانى

مصادر البحث:

١ــ الأمين العاملى، السيد حسن، مستدركات الأعيان.

٢ــ جماعة من الباحثين (١٣٩٠) مجموعة مقالات مؤتمر تكريم الاخوند الخراسانى.

٣ــ جماعة من المفهرسين، فهرست مخطوطات مكتبة المجلس.

٤ــ حرزالدين محمد (١٣٨٤ هــ) معارف الرجال، مكتبة السيد المرعشى النجفى.

٥ــ الخراسانى، الآخوند محمد كاظم (١٣٢١ هــ) الكفاية.

٦ــ الخراسانى، الآخوند محمد كاظم (١٣٢٤ هــ) الكفاية.

٧ــ الشبيرى الزنجانى، السيد موسى، جرعه اى از دريا.

٨ــ شرف الدين، السيد عبدالحسين، بغية الراغبين.

٩ــ الطهرانى، آغا بزرک محمد محسن، الذريعة إلى تصانيف الشيعة.

١٠ــ الطهرانى، آغا بزرک محمد محسن، طبقات أعلام الشيعة.

---

(١) انظر: مجموعة مقالات مؤتمر تكريم الآخوند: ج١ ص٢٠.

(٢) أنظر بغية الرّاغبين للسيّد عبدالحسين شرف الدين: ٥٠٥.

(٣) حدثنى العلاّمة المحقّق السيّد محمد رضا الجلالى حفظه الله ورعاه: أنّ آية الله العظمى السيّد محمود الحسينى الشاهرودى الكبير (١٣٠١ هــ ــ ١٣٩٥ هــ) كان قد حفظ «**الكفاية**» عن ظهر قلبه أوّل ما صدرت وهو فى خراسان قبل أن يهاجر إلى النجف ويحظى بالحضور فى درس الآخوند ﷺ، وكان من أساتذة الكفاية اللاّمعين فى أيّام شبابه وظلّ يدرسها سنوات طويلة من

على ظهر قلبه، بل كان يستشهد بعباراتها على منبر درس الخارج إلى أواخر أيّام حياته الشريفة وما احتاج إلى مراجعة الكتاب وهو فى سنّ الشيخوخة.

قلت: وحفظه للكفاية عن ظهر القلب من المشهورات فى الأوساط العلميّة كل ذلک يدلّ على سرعة انتشار «**الكفاية**» فى أقطار العالم الشيعى آنذاک مع بدائيّة وضع الطباعة وصعوبة تحصيل الكتاب فى تلک الآونة، وشدّة إقبال العلماء والحوزات العلميّة عليه وتقبّلهم للكتاب بشكل منقطع النظير.

وليعلم طلبة العلم اليوم بمدى اهتمام السابقين من السابقين بالتراث والدرس والبحث والسعى الحثيث فى طلب العلم.

(٤) الشيخ أبو الحسن رضا المختارى فى مقال له طبع ضمن مجموعة مقالات مؤتمر تكريم الآخوند الخراسانى: ٢٣٢/٨.

(٥) الطبقات: ٦٥/١٧.

(٦) جرعه اى از دريا: ٥٢٦/١.

(٧) ذكر لى الأخ الأعز الشيخ المختارى أن هذا المقال كتبه الأخ السيد محمد المجتهدى الكاشانى حفظه الله لكنه طبع باسمه إشتباهاً.

أقول: وهذا يدل على سلامة النفس وطمأنينة القلب والزهد فى الدنيا فى زمن كثر فيه الشارهون لحطام الدنيا والمغترّون بزخرفها وزبرجها، كثّر الله أمثاله وجعل عاقبة أمرنا وإيّاه الى خير وكفانا الله وجميع المؤمنين والمؤمنات من شرور الدنيا والآخرة بحق محمّد وعترته الطاهرة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(٨) السيّد حسن الأمين لم يتعرّض لتلمذته عند الآخوند بل ذكر أنّه ورد النجف سنة ١٣٣٠ هـ بعد وفاة الآخوند ﷺ، أنظر مستدركات الأعيان: ٢١٣/٧.

(٩) أنظر الذريعة: ٤١٤/٤.

(١٠) أنظر الذريعة: ٣٧٧/٤.

(١١) أنظر الذريعة: ٣٧٧/٤.

(١٢) أنظر الذريعة: ٦٥/١٥.

(١٣) أنظر الذريعة: ٣٨٠/٤.

(١٤) أنظر الذريعة: ٢٢٩/٢٦.

(١٥) أنظر فهرس مخطوطات مكتبة المجلس برقم (١٤٥١٥).

(١٦) أنظر الذريعة: ٩٥/١٨.

(١٧) وهى رسالة مستقلة ليست من أصل الكتاب وإنما أضيفت إليه فى الطبع.

(١٨) بعض مقالات مؤتمر تكريم الآخوند الخراسانى.

(١٩) النور: ٣٥.

(٢٠) وهو تقرير لبحث الآخوند فى الأدلة العقليّة.

(٢١) على ما حدثنى به ولده المرحوم آية الله السيد محمد رضا الطباطبائى ﷺ.
المتوفى طائفاً بالبيت الحرام فى ١٧ ذى الحجة ١٤٣٠ هـ .

(٢٢) أنظر معارف الرجال: ٢٣٢/٢.

(٢٣) الروم: ٢.

Address Channel : telegram.me/@alsayyedalmosavi